

امتيازات من نوع آخر

للأستاذ احمد أمين

في مصنوعاتنا الوطنية ، ونشأت فرقة من الأجانب تجيد
عمل ، الطعمية ، و « الفول المدمس » ، وبزت فيهما المصريين ،
وأصبحت الطبقة المصرية الأرستقراطية تشبههما من يد
الاجنبي أيضاً وتفضل ما يصنعه على منتجات « أبي ظريفة » ،
والحلوجي ، ومن إليهما ؟

فالصناعات في مصر - على العموم - تتخذ شكل هرم ،
قاعدته التي تلامس الأرض للمصريين ، وقته التي تناطح السحاب
للأجانب .

وهل بلغك أن في بورسعيد - المدينة المصرية - حين
يسمى أحدهما « حتى الفرنج » ، ويسمى الآخر « حتى العرب » ؟
فأما البناء الجليل ، والنظافة والأناقة والعناية بالوسائل الصحية
ومظهر الفنى والنعمة ، ومظهر المدنية والحضارة ، فلحي الفرنج ؛
وأما مظهر الفوضى والإهمال والبؤس والفقر وسوء الحالة
الصحية ومأوى الفقراء ومسكن التواضع والرضا بما قسم الله
فلحي العرب ؟

أو هل سمعت أيضاً أن « مصر الجديدة » - وهي ضاحية
من ضواحي القاهرة - يسكنها كثير من الأجانب فينعمون
بشوارعها الفسيحة ، وبيوتها الضخمة الأنيقة ؛ ثم في ركن
متواضع من أركانها ناحية تسميها الشركة « عزبة المسلمين »
فيها كل ما لا يخطر على البال من تكديس السكان في حجرة
واحدة ومن إهمال ومن أمراض ومن فقر وبؤس ، يفر منها
من يسكنون بجوارها هرباً بأنفسهم وبصحتهم ، وهرباً بعيونهم
عن مناظر القبح ، وبآذانهم عن ألقاظ الهجر ، وبأنوفهم عن
كريه الريح ؟

أوليس مما يثير عجبك ، ويغث دهشك ، أن كلمة « الأجانب »
الوطنية ، في مصر تحمل من المعاني كل أنواع السوء والفوضى
والإهمال وكان يجب أن تحمل كل معاني العناية والنظافة
والنظام ؟

ثم هل رأيت الاجنبي في وسط الفلاحين في العزبة ، هو
وحده النظيف في ملبسه ومسكنه وما كله ، وهو الذي له عقل
يدبر ماله ويعرف كيف يستغله ، وهم المغفلون الذين لا يعرفون

هل لاحظت أنك إذا استعرضت مقاهي مصر وفنادقها
رأيت أن أعظمها بناء ، وأحسنها نظاماً ، وأغناها رواداً ،
وأجلها موقعاً ، وأشدّها إتقاناً للخدمة ، وأكثرها تفناً في
إدخال الراحة والسرور على زوارها ، وأمهرها في استدراج
مال الجمهور عن رضى واختيار ، إنما هي لساداتنا الأجانب ؟
وأن أحقرها مكاناً - وأفقرها سكاناً ، وشرها موقعاً ،
وأسوأها خدمة ، وأرخصها سعراً ، وأكثرها تفناً في إقلاق
راحة زوارها ، لا ينشأها إلا من هزل جيبة ، أو فسد ذوقه ،
أو اضطرت له حاجة ملحة ، أو ضحى براحة ولذته وسعاده
لفكرته الوطنية ونزعته القومية ، إنما هي لإخواننا المصريين ؟
ثم هل لاحظت أن المقاهي والفنادق الأرستقراطية
وما يشبهها وما يقرب منها ، صاحبها اجنبي ، ومديرها اجنبي ،
والمشرف على مالياتها اجنبي ، والذي يقدم اليك الخدمات
الرفيعة اجنبي ، ومن يقبض ثمن ما قدم ويأخذ منك
« البقشيش » اجنبي ؛ ثم من يمسح الأرض مصري ، ومن
يتولى أحقر الأعمال مصري ، ومن يمسح لك حذاءك في
المقهى أو الفندق مصري ، ومن يجمع أعقاب السجائر
مصري ؛ وأن الاجنبي له الخيار في الأعمال ، فما استنظفه عمله
بنفسه ، وما استقذره كلف به مصرياً ؛ ثم أنت لا تجد
العكس أبداً في المقاهي المصرية والفنادق المصرية ، فلا تجد
رئيساً مصرياً ومرموناً اجنياً ، ولا تجد الأعمال الرفيعة
لمصري ، والأعمال الوطنية لاجنبي ؛ وإذا كان لكل قاعدة
استثناء كما يقولون فقد ظفرنا في هذه الحال بقاعدة لا استثناء فيها

وهل تتبع الصناعات في مصر فرأيت أن كل صناعة
رأسها اجنبي وقنعاها مصريتان ؟ فخير ميكانيكي في مصر اجنبي
والجثالة مصريون . وقل مثل ذلك في أعمال الكهرباء والتجارة
والحدادة والخياطة ، وما شئت من صناعة ، حتى لقد زاحمونا

كيف يحسبون دخلهم وخرجهم، ولا يعرفون حساب أموالهم ولا يعرفون كيف يديرون شؤون حياتهم، فنضع هذا وهؤلاء لقانون الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح؟

ثم هل علمت أن امتيازات أخرى بجانب هذه الامتيازات المادية، هي امتيازات عقلية أو نفسية؟

فإن غلبة الأجنبي في الصراع بينه وبين المصري في مرافق الحياة المادية أوجدت حالة نفسية شرا من الحالة المادية، مظهرها قلة وثوق المصري بنفسه وقوة وثوقه بالأجنبي. فإذا تعسرت حالة مرضية اتجه أهل المريض إلى الطبيب الأجنبي، وإذا أراد رب مال أن ينجح في إدارته قصد إلى مدير أجنبي، وإذا تعقدت مسألة حكومية أو أهلية اختير لها خبير أجنبي، وإذا اختلف الباحثون في مسألة علمية كان الحكم الفصل قول المؤلف الأجنبي، وهكذا في كل شأن من شؤون حياتنا؟

واستتبع هذا تقويماً للأجنبي قيمة عالية، ودخل في التقويم أجنبيته أكثر مما دخل في التقويم فنه أو علمه

ألم يبلغك الحادث الطريف الذي حدث بالأمس من مدرس ثانوى للغة الفرنسية يتقاضى أمثاله في وزارة المعارف فوق الثلاثين جنياً، فكان من سوء حظ هذا المدرس أن تجلس بالجنسية المصرية قبل أن يبت في مرتبه، فلما طبقت عليه القوانين المصرية والحوائج المصرية، كانت نتيجة ذلك أنه لم يمنح إلا اثني عشر جنياً؟ ألم يبلغك المصري الذي اخترع بالأمس نوعاً من طوب البناء فعرضه على الجهات المصرية فخاب أمله، ثم عرضه في إنجلترا فأقرت قيمة اختراعه، ثم تأسست شركة انجليزية برأس مال انجليزي لاستغلال هذا المخترع المصري؟

والأمثلة على ذلك كثيرة تحدث كل يوم، فيكاد يكون مغروساً في أعماق نفوسنا أن القبة لا توضع على رأس سخيف، وأن الطربوش لا يمكن أن يلف رأس نابغ

إن كان في مصر دائن ومدين، فالدائن الأجنبي والمدين المصري.

وإن كان في مصر غنى وفقير، فالغنى للأجنبي والفقير للمصري.

وإن كان في مصر ذكاء وغباء، فالذكاء للأجنبي والغباء للمصري.

وإن كان في مصر نعيم وبؤس، فالنعيم للأجنبي والبؤس للمصري.

هذه الامتيازات في المادة والعقل والنفس شرما اصطللنا على تسميته بالامتيازات الأجنبية

ومن الأسف أنها لا تحل بمؤتمر مؤتمر موترو، ولا باشتراك الدول ومفاوضتها، ولا بمعاهدة، ولا بقانون

إن حلها أصعب من ذلك كله لأنها تحتاج إلى عقول جبارة، وإرادات من نار، وحمية لا حد لها، ووطنية قوية وثابة

لأنها تحتاج إلى مؤتمرات لا من جنس مؤتمر موترو، إلى مؤتمر يتكون من فطاحل في التربية يعرفون كيف فشا

فيتا مرض العبودية حتى حجب إلينا العمل اللئيم وبغض إلينا العمل الرفيع، فرضينا من المقهى والفندق بمسح البلاط ولم

أعقاب السجائر. ورضينا دائماً بفتات الموائد، ولم نستطع أن نكون العمل الرفيع ونجلس في صدر المائدة؟ ويعرفون كيف

يقضون على أخلاق العبيد من ذل ومكر وخنوع واحتيال ودسائس، ويحلون محلها أخلاق السادة من عظمة، وصراحة،

وحب للعمل، وطلب للمجد، وعشق للصدارة؛ ويعرفون طبيعة المصري، وتاريخه، وبيئته، وأنواع الأسلحة العلمية

والعقلية والخلقية التي يحتاج إليها ليستطيع الكفاح في الحياة والسير مع الأجنبي على قدم المساواة

فهذا خير ألف مرة من لجان تؤلف وتؤلف لزيادة حصة في الحساب ونقص حصة في الجغرافيا

ونحتاج لمؤتمر من القادة تكون مهمته العظمى إبادة روح المنلة الفاشية، وبذر روح الغيرة النادرة، وتعهدوا بالتقاليد الجديدة التي ترعاها وتضمن نموها

نحتاج إلى مؤتمرات عديدة من هذا القبيل تغير وجه الحياة المصرية، وتخلق قلب المصري خلقاً جديداً، فلا يخاف مرموس

رئيساً، ولا يخاف مصري أجنبياً، ولا يخاف محكوم حاكماً